الاستعارة الحجاجِيّة في التراث البلاغي العربي- " البخلاء " للجاحظ نموذجا -

The pilgrimagemetaphor in the Arab heritage- the book of MisersbyAl- Jahiz , asan example-

فريدة مسعي*
جامعة عباس لغرور -خنشلة-
messai.farida@univ-khenchela.dz

حميد قبايلي
جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي
hamid.kebaili@univ-oeb.dz

تاريخ الارسال:2025/01/06	تاريخ التقييم:2025/04/30	تاريخ القبول:2025/06/04

الملخص

اهتمّ علماء الذوق والجَمال من البلاغيِين والنقّاد العرب القدماء بالاستعارة؛ إذ توجّهوا إليها، فأشبعوها دراسة وتحليلا ونقدًا، لبلورة ما فيها من قوّة كامنة، ولما لها من عظيم الأثر في النفوس والعقول، وهو ما استقطب جهود العلماء المعاصرين في بحوثهم ودراساتهم، فأقبلوا عليها بنهَم، واسترعى الخطاب الاستعاري اهتمامهم، لما يتمتّع به من كثافة وقوّة تأثيريّة، وما يكتنِزُ به من طاقات حِجاجيّة، ويستوقفني في هذه الورقة البحثية إسهام قدماء البلاغيّين العرب في إثراء التراث البلاغي العربي بشأن الاستعارة الحِجاجِيّة عند عَلم من أعلام البلاغة العربية: "الجاحظ " في كتابه "البخلاء "، لتسليط الضوء على إسهاماته في موضوع الاستعارة الحِجاجيّة، ومدى إثراء تلك الأصول وامتداد الدّرس الحِجاجي المعاصر، وإبراز أن نبوغ الفكر العربي القديم بمفاهيمه وتصوّراته ومؤلّفاته، كان إرْهاصًا تأسّست على أكتافه، وتبلورت كثير من النظريات الحديثة منها قضية «الاستعارة الحِجاجيّة».

كلمات مفتاحية: حِجاج ،بلاغة ، استعارة ،إقناع ، خطاب.

Abstract

The ancient Arab rhetoricians and critics of taste and beauty were interested in metaphor. As they turned to it, they filled it with study, analysis, and criticism, in order to crystallize the latent power it contains, and because of its great impact on souls and minds. This is what attracted the efforts of contemporary scholars in their research and studies, so they turned to it with hunger, and the metaphorical

discourse attracted their attention. Because of its intensity and influential power, and the argumentative energies it possesses, In this research paper, I am drawn to the contribution of the ancient Arab rhetoricians in enriching the Arab rhetorical heritage regarding argumentative metaphor, with one of the great figures of Arabic rhetoric: "Al-Jahiz" in his book "Al-Bokhalaa," to shed light on his contributions to the subject of argumentative metaphor, and the extent to which these principles enrich and extend the lesson. Contemporary pilgrims, And highlighting that the genius of ancient Arab thought, with its concepts, representations, and writings, was a foundation built on its shoulders, and many modern theories crystallized, including the issue of "argumentative metaphor".

KeyWords: Pilgrim, Argumentation / Rhetoric / Metaphor Borrowing /Convincing / Discourse

*المؤلف المراسل

1.مقدمة:

يظل الجاحظ أحد أبرز من عالجوا الخطابة العربية القديمة، فرصد موضوعاتها وعالجها، واستوقفته الاستعارة بتجاوزها مضايق الزّخرفة اللغوية، إلى فساحة تشكيلها واقع الخِطاب، عبر وشائجها المُمتدة إلى الحِجاج، بفعاليتها ومقاصدها الحِجاجيّة، فهي "وسيلة تأثير في الجمهور باستعمال وسائل خطابية عبر البرهان و العنف، وسائل تصبو إلى جعل المحتمل أكثر جاذبية، و الاستعارة إحدى هذه الصور البلاغية (ريكور بول، ص87)، وتكمن استراتيجياتها في كونها«من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية»(العزّاوي، 2006م، ص 105)، والجاحظ يُدرك تموقع الاستعارة في الخطاب الحِجَاجي، بما تحققه من إقناع عبر وظيفتها كآلية تزُوم التأثير في المتلقي، فأرسطو Aristote وإن لم يحدد بدقة دور الاستعارة، إلاّ أنها تنتهى إلى تحديدها بنقل اسم شيء إلى شيء آخر، فإما أن ينقل من الجنس على النوع أو من النوع إلى الجنس أو من النوع إلى نوع أو ينقل بطريق المناسبة(أرسطو، ص 116)، و عليه لا بد من وقفة معها، بالتعريج عليها في المنظور العربي التقليدي.

2.ترجمة الجاحظ:

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ اللّيثي، كُنيته أبو عثمان، أما ولادته فلم تعرف بالضبط متى كانت، أورد ياقوت الحموي أنّ الجاحظ قال:" أنا أسنُّ من أبي نوّاس بسنة، ولدت في أول خمسين ومائة، وولد في آخرها" (الحموي، 1993، ص 74)، في البصرة في خلافة المهدي.

لُقِّب بالحَدَقِيّ وبالجاحظ لجحوظ عينيْه وبروزهما في حدقَتيْهما الواسعتَين، كان في صباه يبيع السمك والخبز، عرف بميله للقراءة والمطالعة منذ صغره، ثمّ صار إلى كبار العلماء «وقد تتلمذ الجاحظ على يد أساتذة الدولة العباسية، منهم الأصمعي الذي كان يحفظ ثلث اللغة، وأبو عبيدة، وأبو يزيد الأنصاري... وكذلك الأخفش، وصالح بن جناح اللخمي؛ وإبراهيم بن سيار البلخي، « كان الجاحظ يميل إلى القراءة والمطالعة منذ صغره حتّى ضجرت أمه وتبرّمت به»(شوقي ضيف، د س، ص 589)، لم يكن يقنع أو يكتفي بقراءة الكتاب والكتابين في اليوم الواحد، بل كان يكتري دكاكين الوَرَّاقين ويبيت فيها للقراءة والنظر "(ابن النديم، 1997م، ص 175)، أُتيح له التتلمُذ على يد أحد أقطاب المُعتزلة، و أن " يلقن مبادئ الجدل والمناظرة من شيخه أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظّام (ت231ه) الذي وصفه بأنّه " واسع العلم، غواص على الدقائق مأمون اللسان، قليل الزيغ جيد القياس، و لكنه قليل التثبت من الأصل الذي يقيس عليه، فكان يقيس على الظن "(دي بور، ص 96)، ينتمي الجاحظ إلى فرقة المعتزلة، تعددت مصادر فكره وثقافته من ثقافة اليونان عن طريق الكتب المترجمة، وكان متأثرا بأرسطو، كما برع في الثقافة الفارسية، كما أجاد كافة معارف عصره، وكان نتاج ذلك خصبا في إثرائه المكتبة بما يزيد عن ثلاثمائة وخمسين كتابا، وصلنا منها ثلاثة كتب وبعض الرسائل، توفي سنة 255 ه.

1.2 التعريف بكتاب البُخلاء:

هو كتابُ أدب و علم وفُكاهة، صوَّرَ العصر العباسي وما يضطرب فيه من حالات إنسانيّة واجتماعيّة، هو قصص وأحاديث تدور عن البخلاء، قال الجاحظ عنهم: " ... و قلت أذكرْ لي نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزل وما يجوز منه في

باب الجدّ ... وذكرْت مُلح الحرامي، واحتجاج الكندي..."(الجاحظ، البخلاء، ص 15)، قام بتصوير حَيَواتهم في بيئتهم الخاصة، تصويرًا حسيا بأسلوب فكاهي يرصد حركاتهم، ونظراتهم المضطربة بين القلق بشأن المعيشة والبخل والاقتصاد فيها، كما صَوّر نفسيتهم، وما ينتابها من نزوات وأهواء، واحتجاجهم في مقارعة الخصوم فيما يذهبون إليه من براهين في قوله : " ... وكلّ ما حضرني من أعاجيبهم وأعاجيب غيرهم ... ولمَ سمُّوا البخل إصلاحا والشحّ اقتصادا، ولم حاموا على المنع ونسبوه إلى الحزم، ولم نصَبوا للمواساة وقرنوها بالتضييع، ولمَ جعلوا الجود سرفا والأثرة جهلا ..."(الجاحظ، البخلاء، ص 16)، وأسلوبه لا يخلو من طرافة وإبداع، قال فيه التوحيدي:" ألا يعلم أبو الفضل أنّ مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلتقي عند كل إنسان، و لا يجتمع في صدر كلّ أحد: الطبع والمنشأ والعلم، والأصول، والعادة والعمر والفراغ، والعشق، والمنافسة، والبلوغ، هذه مفاتح قلما يملكها واحد، وسواها مغالق قلما ينفكّ منها واحد ."(التوحيدي، 2004، ص 44)، بين ترك اندهاش في نفوس القرّاء ورثاء لحالهم، بإثارة عواطف بين الشفقة والسخرية منهم، بقوله: " ...ولا عجبي من مغلوب على عقله مسخَّر لإظهار عيبه، كعجبي ممّن قد فطن لبخله وعرف إفراط شحِّه، وهو في ذلك يُجاهد نفسه ويغالب طبعه"(الجاحظ، البخلاء، ص18)، بتصوير ما ينتابهم إنسانيا واجتماعيًّا من حالات كالشّره والنّهم في الأكل والتطفّل، واعتلالهم بالأدلّة التي يُميّزها الجانب المنطقي لكن لا يحمل القرّاء على كراهيتهم، لمقاصد يهدف لتحقيقها وهي: الدفع لنقد واقع المجتمع العبّاسي" ولمَ احتَجّوا – مع شدّة عقولهم –لما أجمعت الأمة على تقبيحه، ولم فخروا – مع اتساع معرفتهم – بما أطبقوا على تهجينه... ولا يفطن لظاهر قُبحه وشناعة اسمه وخمول ذكره وسوء أثره على أهله ."(الجاحظ البخلاء، ص 17).

والقصد من هذه الدراسة هو الوقوف على الاستعارة عند الجاحظ، وإلى أيّ مدى انعتقت عنده من مجرد صورة بلاغية جماليّة، إلى استعارة حِجاجيّة تأثيريّة؟ واستشرافه أهميّتها في الدرس الحِجاجي المعاصر؛

وما هي أدواته لتحقيق ذلك؟ إذ يرى العزّاوي: " أنّه لم يعدْ يُنظَر إلى الاستعارة في هذا البحث بوصفها صورة بلاغية أو أسلوبية تنتمي إلى مجال البلاغة والتجميل بوجه عام بل إن المحور الذي انصبّ عليه الاهتمام في ما يتعلق بهذا الشكل التعبيري وهو الدلالة التي تولدها

الاستعارة "(محمد العمري، ص 142)؛ إذ بعد اطلاعه على أعمال جورج لايكوف G. Lakkofومارك جونسون M. Johnson في كتابهما :الاستعارات التي نحيا بها(Metaphorsweliveby)، أعطَاها أدوات جديدة :" فلم يعد يُنظر في ضوء هذه الدراسات إلى الاستعارة كونها تتضمن الجانب الجمالي، والزخرف اللفظي، الذي يحسن به الكلام وينمق، فالاستعارة أصبحت ظاهرة تصورية ذهنية لها جوانب مرتبطة بالمعرفة، والإدراك، والذهن، وجوانبها المعرفية والتصورية أهم بكثير من جوانبها الجمالية والتحسينية "(البلاغة العربية و العلوم الجديدة، ص 4).

2.2 حدّ الاستعارة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: " ...وقد أعَارهُ الشيءَ وأعَارهُ. منه وعَاورَهُ إياه... وتَعَوَّرَ واستَعارَ: طلب العَارِيَة. واسْتعَارَه الشَّيءَ واسْتَعارهُ منهُ : طلَبَ منه أنْ يُعيرَهُ إيَّاهُ ...وهوَ اسْمٌ منَ الإعَارَةِ. تقولُ: أعرْتُهُ الشّيءَ أُعِيرُهُ إعَارَةً وعَارَةً "(ابن منظور، 1999، ص 471)

وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي (729هـ-817هـ): ".. أعارهُ الشيءَ وأعَاره منه، وعاوره إيَّاهُ، وتَعوَّرَ واستَعار: طَلبَهَا. واستعَارهُ منهُ: طلَبَ إعارَتَهُ "(آبادي، ص 97) وفي تاج العروس لمرتضى الزبيدي (1145هـ- 1205هـ) ورد: «.. وهو اسمٌ من الإعارَة، تقُولُ أعَرْتهُ الشيءَ.. واعتوَروا الشيءَ، وتعورُوهُ.. وأما العارية والإعَارَة والاسْتعَارة.. يتعَاورون العواري ويتعورُونها، إذا أَعَارَ بعضَكُم بعْضًا "(الزبيدي، ص 276) وعليه يظهر مأخوذ من الإعارة، وأخذِ الشيء على سبيل إرجاعه للمُستعَار منه.

اصطلاحًا: " هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي "(شروح التلخيص، ص 45)، بين المستعار منه والمسْتعار له، بينما عرّفها أبو منصور الثعالبي (961م - 1038م) بقوله: " إنّها (الاستعارة) من سُنن العرب وهي أن تستعير للشيء ما يليق به، وتضع الكلمة مستعارة له من موضوع آخر كقولهم في استعارة الأعضاء لما ليس من الحيوان، رأس الأمر، ورأس المال، ووجه الأرض، وعين الماء.. "(الثعالبي، 2002، ص 412 – 413)، وعرَّفها السّكاكي (ت626هـ) بأنّها: " أن تذكر أحد طرفي التّشبيه وتُريدُ به الطَّرف الآخَرَ، مُدعيًا دُخُول المُشبَّه في جنسِ المُشَبّه به، دالاً

على ذلك بإثْبَاتِكَ للمُشبَّهِ ما يَخصُّ المُشبَّه به"(السكاكي، 1987، ص369)، غير أنَّهَا أبلغُ من التَّشبيه، كون التّشبيه يقُومُ على ذِكرِ الطَّرفَين، بينما تنفردُ الاستعارة بدعواها القائمة على الاتحاد والامتزاج بين الطَّرفين، إلى درجة أن صارا شيئًا واحدًا، ويُعدُّ عبد القاهر الجرجاني هو من أسَّسَ هذا العلم بمعنى دقيق بعد الجاحظ، الذي عرّفها بقوله إنّها: " تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه "(الجاحظ، 2003، ص 153)، أي تنْبَنِي على علاقة مشتركة بين المُستَعَار منه والمُستَعَارُ له، ممّا يُشكِّل جسر اتصال لانتقال الدوال بينهما، لهذا فهو يراها " فهمٌ وإفهام "، كما عدَّدَ وظائفها، كونها آلية بسط الشجاعة والإقدام، أمّا الجرجاني فقد أقامها على « الادعاء»، بالتّأسيس لها، وقد أشار إلى فضيلتها وخصائصها بقوله : " اعْلمْ أنَّ الاستعَارةَ هِيَ أمَدُّ ميْدانًا، وأشَدُّ افتِتَانًا، وأكثَرُ جرَيَانًا، وأعْجَبُ حُسنًا وإحسانا، وأوسَعُ سَعَةً، وأبعَدُ غوْرًا، أذْهبُ نجْدًا في الصِّناعَة وغَورًا "(الجرجاني، 2014، ص 27 -23)، كما عدَّها صَدَفةً تُنجبُ الدُّرَر، وشجَرةً تُلقِي بالثَّمَر يقول: "...ومِنَ الفَضِيلةِ الجَامعَةِ فيها أنَّهَا تُبرِزُ هذَا البَيانَ أبَدًا في صُورَةٍ مُستَجدَّةٍ تَزيدُ قَدرَهُ نُبلاً، وتُوجِبُ لهُ بعدَ الفَضلِ فضْلا. ومنْ خصَائِصها التي تُذكَرُ بها، وهيَ عُنوانُ مناقِبهَا أنَّهَا تُعطِيكَ الكَثِيرَ منَ المعَانِي باليَسِيرِ من اللَّفظِ، حتَّى تُخرِجَ منَ الصَّدَفَةِ الوَاحدَةِ عِدَّةً منَ الدُّرَر، وتَجْنِي منَ الغُصْنِ الوَاحِدِ أنْوَاعًا منَ الثَّمَرِ"(الجرجاني، 2014، ص 42-43)، بينما قامتْ عند أرسطو على " النّقل والاستبدال "، وكان أول من وضع لها الأسس والمبادئ التي تأسّست عليها، ويُعرِّفُها بقوله: " إعطاء اسم يدلُّ على شيء إلى شيء آخر، وذلك عن طريق التحويل "(أرسطو، ص 187)، وقد ربطها بالاسم تحديدا، بانتقالها من وضع " حقيقي " إلى وضع " مجازي " مع احترام علاقة المشابهة بينهما، غير أنَّ الرّبط قيَّدَ امتدادها للجملة و الخِطاب، ممّا رهَنها في حقل المحسّنات البلاغية، فانحَسَرت البلاغة لقرون، حتى تجددت على يد بيرلمان Perelman وتيتكاه Tyteca، اللذَيْنِ أخرجَاهَا من قيود النظرة الأرسطية ؛ إذ كان البلاغيُّون التَّقليديُّون ينظرون إليها بوصفها: " تغيِيرًا سعيدًا لدلالة كلمة أو عبارة "Olbrechts Tyteca, p534-535))، ليختَصّها باسمها:(الاستعارة/التناسُب/الشاهد)، ووَسَمَها بسِمتها المُميّزة لها، يقول: " إن أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا، إلا أننا

نعتقد أن دور الاستعارة سيتضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي، إننا لا نستطيع في هذه اللحظة وصف الاستعارة إلا باعتبارها على الأقل من وجهة نظر فيما يتعلق بالحجاج تناسبا مكثفا ناتجا عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له ." (Traité de l'argumentation , p 535)امؤكدًا وظيفتهما الاقناعيّة يقول : " إنّ محسِّنا لهُو حِجاجيّ إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة . و على العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطَب، فإنّ المحسِّن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع."(L'empire rhétorique , p 53)أمّا العزّاوي فقد عَدّها وسيلة لغويّة لتحقيق الأغراض الحجاجِية، وهي تدخل ضمن ما سمّاه بالقوّة الحجاجِية، يقول: " إنّها من الوسائل اللغويّة التي يعتمدها المتكلّم بشكل كبير، ما دمنا نسلّم بفرضية الطّابع المجازي للغة الطبيعية، وما دُمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري "(العزّاوي، ص 105)، ولدورها التأثيري والاقناعي يراها: " بدون استعارة لا تفكير و لا تعبير، ولا فهم، ولا إدراك، ولا تواصل، ولا حجاج، ولا تأثير"(لايكوف ؛جونسون، ص 5)، وهو يُبين قيمتَها العليا فهي مَنْذُورَة للتأثير، غير الاستعارة البديعية التي تكون أقل منها، فهي " شغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، وهي الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، فنحن نجدها في اللغة اليومية، وفي الكتابات الأدبية والسياسية والصحفية والعلمية "(العزّاوي، ص 110)، ويبين أثرها المركزي؛ إذ تؤدي إلى فعل إنجازي، وهو ما يُسمّيه " بالإنجاز الحِجَاجيّ " فالقول الاستعاري الحجاجِي يقدمه المتكلم على أنّه دليل أقوى لصالح النتيجة المتوخاة "(العزّاوي، ص 103).

3. مفهوم الحجاج

أ-في اللغة:

في المُصنّفات الأولى يعُود الحِجَاج في جذره اللّغويّ إلى الفعل (حَ.جَ.جَ)، قال الخليلُ (100 هـ –170 هـ): " و الحُجَّة وجهُ الظّفرِ بالخصُومةِ. والفعلُ حَاجَجتُهُ فحَجَجْتهُ . واحْتجَجْتُ

عليه بكَذَا. وجَمعُ الحُجَّة: حُجَجٌ والحِجَاجُ. (الفراهيدي، ص 287) ويورد ابن منظور (630 هـ – 711 هـ) تعريفًا له في لسان العرب بقوله : " والحُجَّةُ : البرهان ؛ الحُجّةُ ما دُوفِع به الخصم.. وهُو رجُلٌ مِحجَاجٌ أيْ جَدلٌ. والتّحَاجُّ: التّخَاصُم؛ وجمعُ الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجَاجٌ. وحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجَاجًا: نازَعَهُ الحُجَّة. وحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: غَلبَهُ على حُجَّتِهِ."(ابن منظور، ص 779)، بينما ورد في مختار الصحاح لأبي عبد الله الرازي (ت 666هـ) بقوله: "... و(الحُجَّةُ) البُرهَانُ و(حَاجَّهُ فَحَجَّهُ) مِن بَابِ رَدَّ أَيْ غَلَبَهُ بِالحُجَّةِ. وفِي المَثَلِ لَجَّ فَحَجَّ فَهُوَ رَجُلٌ (مِحْجَاجٌ) بِالكَسْرِ أَيْ جَدِلٌ و(التَّحَاجُّ) التَّخَاصُمُ "(الرازي؛ الصحاح، 1999م، ص 66)، وهو نفس المعنى الذي يذهب إليه الباجي (403 – 474 هـ) في " المنهاج "في قوله: " أما بعد، فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبُل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين.. أزمعتُ على أن أجمع كتابا في الجدل ... وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحقّ من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتضحت محجّة «(الباجي، 1987، ص 7)، فالحجاج عنده هو مرادف للجدل، والاستعمال العربي لمفهوم الحِجاج، دار حول النزاع والخصُومة والجدل والتغالُب. ويُقابل الحِجَاج عند الغرب لفظ Argumentation، التي تقتربُ من المعاني الواردة في معاجمنا العربيّة، فالفعلُ حَاجَّ يُقابله الفعل enterArgum، وقد أُخِذَت كلمة Argument من الفعل اللّاتينيArgumentatio _ Argue، الذي يعني جَعَل الشيء واضحًا و لامعًا و ظاهرًا، وقد أُخِذَ من الجِذر اللّغوي الإغريقيArgues ويعني أبيض لامع، وفي الفرنسية تُشير كلمة Argumentation حسب قاموس روبير Le Robert إلى معان متقاربة من التعريفات العربيّة : " القيامُ باستعمال الحجج، وكذلك هو مجموعة من الحجج التي تستهدف نتيجة واحدة، وهو كذلك فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة " (Robert , 1989, p: 35))أمّا في المعجم الإنجليزي كامبردج Cambridge فيعرّف الحِجَاج: " .. هو الحُجّة التي تُعلِّلُ أو تُبرِّر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما. (CambridgeAdvencedLearners , p56)"

ب-**الحجاج في الاصطلاحَ:** فالحجاج آلية تعبيريّة من آليات الخطاب الإنساني، وهو " إجراء يستهدف من خلاله شخص ما حمل مخاطبه على تبني موقف معين عبر اللجوء إلى حجج تستهدف إبراز هذا الموقف أو صحة أسسه، فهو إذن عملية هدفها إقناع الآخر والتّأثير

عليه. "(أبو الزهراء، 2008، ص 5)، ويعرِّفُه د. مونغينوD.Maingueneau بأنّه: " آلية موجهة إلى جعل بعض النتائج مقبولة من قبل جمهور معين في ظرف معين ",Maingueneau, 1990) p 35)، أمّا طه عبد الرحمن فيقر بأنّ: " أنّ الأصل في تكوثر الخطاب، هو صفته الحجاجية، بناءً على أنّه لا خطاب بغير حِجاج"(عبد الرحمن، 1998، ص 213)، وكونه خطاب مُوجّه يرومُ التّأثير، ف" الخطابُ الحجاجِي هو خطابٌ موجّه، وكلّ خطاب يهدف إلى الإقناع، يكون له بالضرورة بعدٌ حِجَاجيّ "(مسعودي، 1997، ص 330)، لهذا يُركّزُ بيرلمان Perelman وتيتكاه Tyteca فالحجاج هو: " درس تقنيات الحجاج التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في حالة ذلك التسليم "(صولة، دت، 299)، ونظرا لاتساع استعماله فهو موزّع بين مختلف الحقول المعرفيّة " إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغة التقليدية، وفي الدراسات القانونية والمقاربات اللسانية و والنفسانية والخطابية المعاصرة "(طروس، 2005، ص 6) و عليه ارتأيت أن أعتمد المنهج الحِجَاجي في هذه الدراسة، كمُقاربة تُتيح لي استجلاء الاستعارة عند الجاحظ، وتوسّله توظيفها كآلية حِجاجيّة، عبر ما تتمتّع به من طاقات وفعاليّة، وما تكتنِزُ به من أساليب تأثيريّة.

4.نموذج من بُخلاء الجاحظ : 'قصَّةُ أهلِ خُرَاسَان و أَهلِ مَرْو"ٍ :

" وقال خاقانُ بن صُبَيح: دخلتُ عَلى رجُلٍ من أهل خُراسَان ليلًا، وإذا هُو قَد أتَانا بمِسرَجة فيها فَتِيلةٌ في غَايةَ الدقَّة، وإذا هُو قد ألقَى في دُهْن المِسْرجَة شيئًا من مِلحٍ، وقد علَّقَ علَى عَمود المَنارةِ عُودًا بخَيطٍ، وقَد حَزَّ فيه حتى صَار فيه مَكانٌ للرِّباط. فكَان المصْباحُ إذا كادَ ينطفئ **أشخص رأسَ الفَتيلة** بذلِك. قال: فقلتُ له: ما بالُ العودِ مربوطًا؟ قال: هذا **عودٌ قد تشرَّب الدُّهن**، فإن ضاع ولم يحفظ **احتجنا إلى واحد عَطشان**. فإذا كان هذا دأبَنا * ودأبه ضاع من دُهننا في الشهر بقدر كِفاية ليلة. قال: فبينا أنا أتعجَّب فِي نفْسِي، وأسْأَل اللهَ جلَّ ذِكرُه العافِيةَ والسِّترَ، إذْ دَخَل شيخٌ من أهْل مَرْو، فنَظَر إلى العُود فقَال: يا أبَا فُلَان فَرْرتَ منْ شَيْءٍ ووقَعتَ فِي شيْءٍ. أمَا تعلمُ أنَّ **الرِّيحَ والشَّمس تأْخذَان** من سَائِر الأشْياء؟ أو ليْسَ قَد **كانَ** البارِحَة عنْد إطْفَاء السِّراج **أرْوَى***، **وهُو** عنْد إسْراجكَ الليْلةَ **أعْطَش**؟ قد كنتُ أنَا جَاهلًا مثْلكَ! اربُط – عفَاك الله –بدَلَ العُود إبْرة أو مِسَلَّة صَغيِرة. وعلَى أنّ العُود والخِلَال والقَصَبة

ربَّما تَعلّقَتْ بها الشَّعرَةُ من قُطْنِ الفَتيلة إذَا سوّيْناها بِها فيشْخصُ لهَا. ورُبّما كانَ ذلك سببًا لانْطِفاء السِّرَاج. والحديد أملس، وهُو مَع ذَلك غيرُ نَشَّاف. قَال خَاقَان: ففِي تلْك اللَّيلة **عرَفتُ فضْلَ أَهل خُراسَان عَلى سَائر النَّاس، وفَضلَ أَهْل مَرْو عَلى سَائِر أَهْل خُراسَان**." "(الجاحظ، ص 40).

1.4الاستعارة الحجاجِية في " بُخلاء " الجاحِظ :

قدَّمَ الجاحظ لخطابه "باستهلالٍ"، ليُعطي صلابة لمنطلقاته الحجاجية، بتعريفنا بشخوص بخلائه وملامحهم وبيئتهم، التي يعمل بها على تعزيز عمليّة استدراج المتلقي بالإقبال على ما يلي من مقدمات، وإيهامه بصدقِيتها، ليتقبّل ويستجيب لما يأتي من تفاصيل، ل " أنّ البلاغة هي علم الخطاب الاحتماليّ الذي يتوخّى التّأثير والإقناع أو هما معا إيهامًا أو تصديقًا وما يفرضه ذلك من اعتبار حال المستمع "(العمري، ص55)، لينطلق في "السّرد" بدخول الخراساني بمِسرجة لإنارة الدّار المُعتِمة إذ الزمان ليل، غير أنّ الفتيلة متناهية الدِقَّة، وهنا يبدأ المسارُ الإخباريّ في النموّ تصاعُديًّا، ليتفاجأ الضيف بسلسلة تفاصيل تصوّر برنامج الخراسان، بصُور تأتي مُفعمة بالحيويّة، مشْبعة بالحركات للتأثير أكثر، وفي سبيل تحقيق ما ينشُده من إشباعٍ، تتحرّكَ الشخصية بفاعلية واستمتاع، فتتوالى خِططُه وحِيلُه في الانكشاف للقارئ، ليرصُدها في شكل صُور بصريّة " تظهر أن أبا عثمان يرى في الشيء أكثر مما فيه، هذه الكثرة الفائضة من الأشياء هي نتاج بصري مثّل الجاحظ شعارها الأكبر فلم يكن جاحظ العينين، لتشويه في الخلقة أو لخطأ من أخطاء الطبيعة، وإنما لشطط في البروز من جرّاء الإفراط من العجب ... وهو تعبير عن سلوك بصري جديد، عن حالة متلازمة للفرد المندهش، الذي من فرط الدهشة والعجب نتأت عينه، فصارت جاحظة دائمة الجحوظ "(خضر، 2015، ص 242)، ليتسنّى للمتلقي تقييم حِيلِه التمويهيّة؛ إذ كلّما همّت الفتيلة بالانطفاء"**أشْخصَ رأس الفتيلة** " التي صَوّرَها بإنسان أو حيّة له رأس، ولدِقّته، فالبخيل في حاجة مستمرّة لإخراجه منها بفعل الدفع والإشخَاص له، بل إنّه ذاتٌ مُستمتعة بخضوعها في سبيل تحقيق امتلائها، يُترجِمُه العامل الحِجاجي المُتمثّل في التّركيب الشَّرطيّ: إذْ كلّما (أداة الشرط)، همَّتْ الفتيلة بالانطفاء (فعل الشرط) =أشخصَ رأسها (جواب الشرط)، مُستجيبًا

للعمليّة بآلية بافلوفيّة وخضوع تامّ، على سبيل الاستعارة المكنية، لينقُل للقارىء صورة حسيّة لرأسِها الدّقيق، ومدى خضوع الخراساني وانقياده للفتيلة، كما أنّ الاستعارة وردت بما تسميه الإنجليزية كريستين بروك روزRose-Christine , Brookحسب الجرد التركيبي الذي وضعته في كتابها نحو الاستعارةA Grammar of metaphorبالربط الإضافي TheGenitiveLink ودور الإضافةThe Genitiveفي بناء الاستعارة مثال : " ومِيضُ حياتي " و " فردوسُ الحبِّ، لتقريب الصّورة عنه أكثر، وليُعقبها باستعارة الأفعال – حسبها – لأنّ هذا الصنف من الاستعارات تُصنَّف بحسب العلاقة الاستعارية بين الفعل والفاعل "(Brook- Rose , 1958 , p 26)، ولإدراكه أنّها " الصور لما تختزنه من طاقة حجاجية تأثيرية وإقناعية "(علي سلمان، 2010، ص 292-293)، فالبخيلُ لا يتوانى في السعي والتدبير، له كفاية تُكسبه قدرة على الفعل، عبر سلسلة أفعال إنجازية تأثيرية، لتحقيق ما يُسمّيه العزّاوي " الإنجاز الحِجَاجي ":(**أتى** + **ألقى**+ **علَّق** + **حزَّ**+ **أشخَص**)، لأنّه " **تشرَّب الدُّهن**" في استعارة مكنية، شخَّصت العود في شخص إنسان أو حيوان، يشربُ الماء بشكل نهِمٍ ولا يرتوي عبر قرينة دالّة هي : الفعل الماضي المَزِيد المُفيد للتَّكثير على وزن تَفَعَّلَ (تشَرَّبَ)، "وهي سمة من سمات النص الأدبي عند الجاحظ الذي تقوم بلاغته على إنتاج نص في سياق من النصوص المستعارة لأداء وظيفة خطابية يتداخل فيها البعدان الحجاجي والأدبي."(مشبال، 2013، ص 116)، وتتوالى الاستعارات المكنية، مشكلة حُجة السبب cause de L'argument وهي: " الحجاج الذي يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي مثال ذلك " اجتهد فتنجح ". أو حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما، وقع سبب أحدثه وأدى إليه ... حجاج يرمي إلى التوقع بما سينجرُّ عن حدث ما من نتائج .. ولهذا النّوع من الوصل تأثير مباشر في توجيه السّلوك وعدّه من أهمّ وسائل الحجاج "(صولة، ص 332)، فهذا العود المتشرِّبُ بالدُّهن، يسوقُهُ إلى ربطه، جزعًا من الحاجة إلى **عُود** " واحد **عطشان** "، وهي استعارة مكنيّة تُجسِّد فعل الفقد والضياع، فالعودُ خِيفَ عليه من فعل فقْدِ الدُهن، كالعطشان يخافُ فقد الماء والارتواء، والجامعُ بينهما: الخوف الشّديد من الفقْد والضَّياع والبحث عن سُبُل الإشباع، ودلالات الارتواء (تَشَرَّبَ / عَطشَان / أَرْوى / أَعطَش) تعكِسُ ما تُعانيه الذّات من عَطش وجُوع

نَفسِيَيْنِ، هذا الخوف الذي يتخذه الجاحظ كفعل تحفيزي مدعوم بقوّة الأهواء والعاطفة (émotive Force)، يحُضُّ به المتلقي لتحقيق التغيير في معتقداته، بتلك الأساليب المشحونة بالانفعالات (خوف، غضب، تهديد، رحمة)، " يراهن من خلالها المسخِّر على استدراجه، فكلما امتزجت أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، إلا وكانت أقدر على التّأثير في اعتقاد المسخَّر، ومن ثم توجيه سلوكه "(بورديو، 1986، ص 64)غير أنّه ليعمل على التصعيد من وتيرة التّأثير والفاعلية الحجاجِية فيها، لأنّ " الاستعارة في القول تنزل منزلة الشّاهد الأمثل والدّليل الأفضل وتكون أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المخاطب إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها "(عبد الرحمن، ص 40)، وللإيغال أكثر في صورة البخيل، يعمدُ إلى الاستعانة بتقنيات الاستمالة Appeals لتحقيق المزيد من المقصديّة الإقناعيّة؛ إذ يتفاجأ خاقان بقوله: " فبينا أنا أتعجّب في نفسي، و أسأل الله .. السّتر "(الجاحظ، ص 40)؛ " إذْ دخل شيخ من أهل مرو "، ليشهد الحدث تغذية بجملة استعارات تُقرِّب فعل البخل، وتعمل على تجسيده أكثر عبر تكثيفه لدى المتلقّي، لأنّ الاستعارة " ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتّشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام، والأذهان، لا الأسماع و الآذان "(الجرجاني، ص 20)، ويظهر من ردود المروزيّ وتوظيفه سبل الاستدلال العقلي، أسلوب الجاحظ وامتلاكه ناصية الجدل وعلم الكلام، وانعكست تلك القوّة التأثيريّة للجاحظ في المتلقّي، بتعضيده للقول والرفع من فعاليته الإقناعيّة؛ إذ يرى أرسطو أنّه: " ليس من الضروري فقط أن ننظر كيف تجعل الخطبة نفسها برهانية، بل من الضروري أيضا أن يظهر الخطيب أنّه على خلق معيّن "(بدوي، 1986، ص 108)، كما تعكس تفوق الفرق الإسلامية والمعتزلة في حِجاجهم، الذين جعلوا العقل الأساس الأول لفكرهم، والسلطة المرجعية لأصُولِهم؛ إذ تكشف استعاراته نزعته الكلاميّة، وقوّته الإقناعيّة من خلال جدل المروزيّ، واعتماده حُجّة العقل وبرهانه؛ إذ يرى الجاحظ أنّ العقل حُجّة، لإثبات صدق دعواه، ودحض دعوى الخراساني المناقضة، يقول في حِجاجه له: ".. أنّ **الريح والشمس تأخذان من سائر الأشياء** "، استعار للريح و الشّمس، وهما عنصران طبيعيان، صورة لصّ منتهزٍ يأخذ بقوّة وانتزاع ما شاء من الأشياء، في جامع بين المستعار منه " اللص" وبين المستعار له " الرّيح و الشّمس "، بل بجعل المستعار منه دليلا على إثباته صفة الأخذ والسّلب بقوّة

للمستعار له، وهو ما يمكّن هذه الاستعارة عبر قوّتها التدليليّة الإثباتية من الضغط لإقناع المتلقي، فهي حُجّة يسعى عبرها لتقويض دعوى الخراساني مستدلا على أنّ العقل والإرشاد في مفهومه هو التّفنُّن في دُروب التوفير والاقتصاد، يقول: " وقلت: اذكر لي نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزل، وما يجوز منه في باب الجدّ... وذكرت مُلح الحرامي، واحتجاج الكندي، ورسالة سهل بن هارون.. وكل ما حضرني من أعاجيبهم وأعاجيب غيرهم "(الجاحظ، ص 15-16)، وكان هذا الاحتجاج لبخلهم، ما دفعهُ للتعجّب من اضطراب عيشهم القائم على عدم الاعتدال والتّناقض بالتساؤل: " ما الشيء الذي خَبَّل عقولهم؟ وأفْسَدَ أذهَانهُم؟ ونقض ذلك الاعتدال؟ وما الشيء الذي له عاندوا الحق، وخالفوا الأمم؟ وما هذا التركيب المتضاد والمزاج المتنافي؟ "(الجاحظ، ص 17-18)

وقد تواترت الاستعارات المكنية بحُمولة حجاجيّة مكثّفة، تحملُ بين ثناياها شحنة عاطفية، وأخرى عقليّة؛ إذ تقوم الاستعارة حسب الجرجاني على الجمع بين العقلي و النفسي، فإذا قلتَ: " رأيتُ أسدًا " " فقد أفدت بهذه الاستعارة ما لولاها لم يحصل لك، وهو المبالغة في وصف المقصود بالشجاعة، وإيقاعك منه في نفس السّامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وبأسه وشدّته"(الجرجاني، ص20)، وهو ما تسعى إليه استعارات الجاحظ بالمبالغة في وصفهم: " وأحسن الوصف ما نُعتَ به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع والقارئ "(القيرواني، 1981، ص 294)، والمبالغة في الوصف تدخل ضمن وظيفة الاستعارة الحجاجِية، وقد ذهب لونجينوسLonginus الذي اعتبر الوصف الرّائع للأشياء بقوله: " وكأنَّنا نراها "(Longinus, 1995 , p85)، كما تعمل على توليد شحنات عاطفية تأثيريّة في المتلقّي، فتتقاسمه العواطف بين الشفقة لحال البخلاء والتعاطُف معهم، وبين السُّخرية من حِيلهم، فالتأثير بالعواطف للتغيير في معتقدات الآخر(Pathos) أدرجه أرسطو ضمن الوسائل الصناعية، لأنّها تنقل المتلقي من حالات الانفعال إلى حالات الفعل بتعبير غريماس. reimasG وفونتاني. Fontanille، فأرسطو يعدّ: " الانفعالات هي كل التغيرات التي تجعل الناس يُغيّرون رأيهم فيما يتعلق بأحكامهم، وتكون مصحوبة باللذّة و الألم، مثل الغضب والرحمة والخوف، وكلّ الانفعالات المُشابهة وأضدادها "(أرسطو، 1991، ص 83)، وعليه أوْلى الباتوس عناية

خاصة بوصفه مقُولة حجاجية، " لبيان الجانب الذي يهمه منها باعتبارها، من وسائل الإقناع، إنّه يُركِّز فقط على جانبها الحجاجي "(بنو هاشم، 2014، ص 308)، وخوفًا من وقوع الباتوس في الحِجاج المُغالطي، بالتمويه على الحقيقة وإكراه المخاطَب بطريقة التطويع أو التلاعب أو التحكّم Manipulation، فقد قدّم الاتجاه البلاغي للخطيب استراتيجية تقوم على تقنيات الحِجاج العقلي، مع إعطاء البُعد العاطفي حيّزا مهما.

دَرَسَ الجاحظ البخلاء في علاقتهم بالعالم الداخلي (النفسي)، وبصراعهم مع العالم الخارجي يقول: "..ولا عجبي من مغلوب على عقله مسخر لإظهار عيبه، كعَجبي ممن فطن لبخله وعرف إفراط شحّه، وهو في ذلك يجاهد نفسه ويُغالب طبعه "(الجاحظ، ص 18)، وصوّرت استعاراته هوى " البخل " عندهم، وقد عدّهُ أرسطو ضمن الوسائل الحجاجية، وفي هذا يقول ميشال مايير M.Meyer: " إن القدرة على حجاج جيد، أي الإقناع، يفترض المعرفة بما يهزّ الشخص الذي نخاطبه، أو بعبارة أدق ما يبعث انفعاله. إن هوى"باتوسْ " الإنسان الحسود، مثلا، يجعله حساسا أمام ما يملكه الآخرون من خيرات، والتي يعتبر أنّ من الظلم أن يُحرَم منها.. وخلافا لذلك فإن إنسانا سخيا سيكون أقل إحساسا أمام هذا الجنس من الحجج: إن فعل الخير سيحركه أكثر من التنكب عن فعله "((Meyer, 1999, pp32-33هذا الهوى الذي بدا عندهم جامحا، فتعلّقهم بالمال كما عبّرَ عنه الجاحظ " خَبّلَ عقُولهم .. وأفسَدَ أذهَانهُم "، رغم اختلافِ تمظهراتها المعجميّة لوحدة " البخل "، فصورة المرْوزِيّ، جسّدت الاستعارات بفعاليّة وقوّة مدى بخله، ووصفت انتصاره لهذا البخل، بل صوّرت لنا دفاعه المُستمِيت عنه، واحتجاجه بقوّة أمام الخراساني، الذي ما لبث أن تهاوى اعتلاله أمام احتجاجه، ودوره التمويهي في الامتلاك، وسعي الذات الحثيث للامتلاء، ومقارعة الضياع والفقدان والتخلّي".. فإن ضاع ولم يحفظ، احتجنا إلى واحد عطشان، فإذا كان هذا دأبنا و دأبه ضاع من دُهنِنا في الشهر بقدر كفاية ليلة "(الجاحظ، ص 40)، بتوسُّل المزيد من الاستعارات الموغِلة في الإغراق والمبالغة؛ إذ " تفطّن البلاغيون القدامى إلى القيمة التداولية للاستعارة، ورأوا أنَّ سر نجاحها كامنٌ في مدى التأثير في المتلقي "(سويرتي، 2000م، ص 41-42)، مع الخوف الشديد من الفقر، فيظهر فعل " التكديس " للأموال هو الحلّ في مفهومهم " وفي هذه الحالة تشترط الرغبة في الكينونة عند مستفيد مرتبط بموضوع، رغبة في فعل

خاص بالذات المكدِّسة "(غريماس؛ فونتاني، 2010، ص 192)، لأنّه وحسب غريماس وفونتاني:" أن ما يهم البخيل ليس الثروات التي يُكدِّسها، بل لاعتقاده أنه محاط بالثروة. وبالتالي، فهو يحاول رسم صورة في ذهنه، مدارها أن المال محاط به من كل جانب، فالصورة الهدف، تتكون من التكييفات التي تميز كينونة الذات "(غريماس وفونتاني، 2010، ص 163)، تُظهِر الاستعارة وقوعهم تحت سطوة التعلق بالمال، التي لا يَجِدَان منها فكاكًا، بل إنّهما لِهَبَانِ نفسيهما لها طوعًا، فالذات المتعلِّقة ترى أنّ واجب الكينونة يجعلها في وصل مستدامٍ مع" البخل «، ف" الجمع والمنع" تراه قضيّة نذَرَتْ نفسها لخدمتها، وقد وصَفهم بالأعاجيب التي تحقق لك إحدى الوجوه:

"ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبيّن حجة طريفة، أو تعرّف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة. وأنت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجدّ."(الجاحظ، ص 21)

(الخُراساني):

أشخَصَ رأس الفتيلة->

هذا **عودٌ** قد **تشرَّبَ** الدّهن ->

احتجنا إلى واحدٍ(**عود**) **عطشان**.

المقدمة الأولى: الرّجل الخراساني شديد الحرص، بخيل

(المَرْوَزِيّ) :

الرّيحُ والشمسُ **تأخذان** من الأشياء

->**العودُ** كان البارحة **أروى**

->**العودُ** الليلة **أعطش**

المقدمة الثانية: الشيخ من أهل مَرْو أشدُّ حرصًا، وأبخل

النتيجة: أهل خراسان بُخلاء، وأهلُ مرْو أبخَلهم.

فالاستعارات اكتنَزتْ بالشُحنات الحجاجيّة ليُقبل عليها المتلقّي، وتستغويه إذ " وراء كلّ حجاج بلاغة، والعكس صحيح، لأنّ مدار ذلك هو الإغواء والاستغواء قصد الإمتاع

والإقناع "(اعراب، 2010، ص 45)، كما أنّ المتلقي من خلال تسليمه بالمقدمتَيْن السابقَتيْن، سيكون مضطرا للتسليم بالنتيجة، وهو ما تحققه لأنّ " قوة الاستعارة تأتى من قدرتها على التقريب بين نظامين مختلفيْن مع محاولة جاهدة لطمس ما بينهما من فروق "(الدريدي، ص 253)، باتّكائِها على آليات فهي " آلية حجاجية بامتياز، فإذا كانت الاستعارة الشّعرية تتملك السّامع أكثر مما تقنعه، فإن الاستعارة الحجاجية تكون أكثر قهرا واقتصارا "(عشير، 2006، ص 118)، ويصوّر الجاحظ بخلاءَه، ذاتًا فاعلة، ذات إرادة وقدرة على الفعل لما تشاء بالموضوع، وفعل" التكديس "عندها خاضع لمتعة داخليّة، وواجب الجمع والمنع تجاوزه كبشر، ليعمَّ حتى حيوانهم يقول: " وقال ثُمامة: لم أرَ الديك في بلدة قطُّ إلاّ وهُو لافِظٌ، يأخذُ الحَبَّةَ بمنقاره، ثمّ يلفِظها قُدّام الدجاجة، إلا دِيَكة مَرْوٍ، فإنّي رأيتُ دِيَكة مَرْو تسلُب الدَّجاجَ ما في مناقيرها من الحَبِّ. قال: فعلمتُ أنَّ بخلَهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء، فمن ثمّ عمّ جميعَ حيوانهم."(الجاحظ، ص 38)

صَوّرَ الجاحظ ديك مَرْو، بصورة حَركِيّة بصريّة بفعل (رأيتُ)، في شكل استعارة مكنيّة في قوله: " رأيتُ ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها"، جسّدت الحرص والبخل عند الحيوان، إذ شبّه الديك وهو المستعار له، بمشبّه به محذوف، وكنّى عنه بلازمة من لوازمه تدلّ عليه وهي (تسْلُبُ)بصيغة الفعل المضارع الدّال على الاستمرار والحضُور المتجدّد في نسقِيّة وتكرار لفعل (السَّلب)، لتقديره (المستعار منه) باللص أو قاطع الطريق، الذي يقوم بفعل الإغَارة والسّلب من ضحاياه الضِّعاف (الدجاج)، يفتكُّ الحَبَّ منها بقوّة و غصبٍ، ليكون الجَامعُ بينهما السّرقة والسّلب، في عمليّة انفصال عن المألوف من التقاليد والأعراف، وانسلاخٍ من قيم مُتوارثة (الكَرَم): " لم أرَ الدّيك في بلدة قط، إلا وهو لافظٌ يأخذ الحبّة بمنقاره، ثمّ يلفظُها قُدّام الدجاجة"(الجاحظ، ص 38)، وهي طاقة حِجاجيّة حملتها هذه الاستعارة، وما يتناسب والسياق الحِجاجيّ، الذي يقتضي تعزيز فرص الإفحام للخصم، بسعي الجاحظ لإثبات صحّة الدّعوى التي يذهب إليها، وتقويض أيّ دعوة مناقضة، بتأثير من نزعته الكلاميّة التي انماز بها أسلوبه، غير أنّ بعض النّقاد يرجع سبب تأليف " البخلاء، وهو الردُّ على الشعُوبية، تلك الحركة الاجتماعية القومية، التي استقوَت في العصر العبّاسي، غير أنّ هناك عوامل أخرى كموسُوعِيته، وتمثّلِه لروح عصره، وعليه اصطبغت استعاراته بصبغة:

المُعاضَدَة بين الجَمَاليّة والحِجاجيّة، وألبسَها بلبُوسٍ من القُوّة التأثيريّة، ممّا بوَّأها من تحقيق مقاصدها، وفي هذا السّياق يقول فان دايك Dijk A. Van: " إن البنيات البلاغية ذات طبيعة وظيفية أساسا تستهدف نجاعة النص في المقام التواصلي، وبعبارة أخرى فإنّ المستعمل إنما يلجأ إلى بعض البنيات البلاغية لأغراض استراتيجيّة؛ أي لكي يوفر شروط القبول لكلامه عند المخاطب، ولكي يراه، تبعا لذلك، وقد أحدث عند الاقتضاء أثرًا أو (معرفة / فعل)."(دايك، 1996، ص 25)

5.خاتمة:

أثرى الجاحظ التراث البلاغي بجهوده البلاغية، التي أسندت بأرومتها الدرس البلاغي المعاصر، خاصة الاستعارة التي عمل على انعتاقها من قيود الزخرفة والإمتاع، إلى مده جسورا تربطها بالحجاج والاقناع، عبر اتخاذه استعاراته كواجِهات حِجاجيّة، سعى من خلالها لترسيخ موقفه تجاه المتلقي، بل بَنَاها بسلاسل من التّأثيرات البلاغيّة، ووثَّقَ عُراها بمهارات لغويّة ذات فعاليّة حِجاجيّة-مُستفيدًا من ثقافته الواسعة وظروف عصره المُزدهرة وفكره المُعتزليّ - وعليه انعتقَت الاستعارة عنده من كونها آلية من آليات التّحلية، إلى حاملة من حامِلات الحِجَاج، وتوظيفه للاستعارة كآلية تُمكِّننا من تمثّل أفضل للمفاهيم المجرّدة، وأدائها دورًا تواصليًا عبر تعاملنا اليومي بها، بما تكتنِزُه من طاقات حِجاجيّة غايتها الإذعان والإقناع، مع تظفيرها بالجَمَالية والإمتاع، وكتغذية راجعة FeedBack تُغَذّي الدّرس الحِجَاجي.

أولا المراجع العربية:

1 أبو بكر العزاوي، (2006)، اللغة و الحجاج، مطبعة الأحمدية، الدار البيضاء، المغرب.
2 أمينة الدهري، (2014)، كتابة الصمت، البلاغة و النقد الأدبي، العدد 1، يوليو 2014، المغرب.
3 أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب.
4 أمين أبو ليل، علوم البلاغة، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2010 م.
5 ابن رشيق القيرواني، (1981)، العمدة، ج2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت
6 بيير بورديو، (1986)، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، ط 1، دار توبقال
7 الجاحظ، (1993)، البخلاء، تحقيق عباس عبد الستار، ط4، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت.

8 الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط5، دار سحنون للنشر والتوزيع.
9 الحسين بنو هاشم، (2014)، بلاغة الحجاج: الأصول اليونانية، دار الكتاب الجديدة، المتحدة، بيروت
10 العادل خضر، (2015)، نسيان ما لا ينسى، أو صور الأصل في الأدب، مقالات في التأويل الأدبي، الدار التونسية للكتاب.
11 محمد مشبال، (2016)، بلاغة العنف في خطب الحجاج، ضمن بلاغة الخطاب السياسي، أعمال مهداة للدكتور سعيد بن كراد، منشورات ضفاف الاختلاف.
12 محمد العمري، (2005)، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، دار افريقيا الشرق
13 حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو، إلى اليوم، منشورات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس.
14 حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981 م.
15 صولة عبد الله، (1999)، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، سلسلة آداب.
16 صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008م
17 غريماس وفونتاني، (2010)، سيميائية الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة سعيد بن كراد، دار الكتاب الجديدة، المتحدة، بيروت.

ثانيا المراجع الأجنبية:

1. Aristote Rhétorique,1991**Lelivredepoche** ، librairiegénéralefrancaise , Paris
2. Amossy . R . 2010 ,L'argumentationdansle**discours, Armand Colin , Paris**
3. AnneRebouletJacquesMoeschler : . Dictionnaireencyclopédiquedepragmatique , Ed. Minuit , 1980
4. .AnnaJaubert : Lalecturepragmatique , Paris , , Hachett , 1990
5. pragmatiqueetlaquestiondustyle -Anna. J : L'approcheénonciatia
6. AZZAOUI Boubaker : Approcheargumentativeetpolyphonique, Thèsededoctoratunique , E.H.E.S.S , Paris , 1990
7. Howtodothingswithwords , HarvardUniversityPress , : Austin.J . september 1975
8. Ducrot . O 1972 Direetnepasdire,Herman ,Paris
9. 1980 , Ducrot . O 1980 :Leséchellesargumentatives, Ed . Minuit
10. Ducrot . O : Ledireetledit , Leséditionsdeminuit , Paris , 1984

11. phores , modèlesetanalogiedanslessciences , p : JeanMolino, Méta 8
12. lephilosopheetlespassionsopcitPuf 2007 MichelMayer
13. Theuses of argumentAmbridge 1958 : Toulmin . S
14. Charaudeau . P : , Lesconditionslinguistiquesd'uneanalysedudiscours **thèsede** .Sorbonne 1977 , doctoratd'état